شبهات وردود

حديث عائشة

فى الخروج الى البقيع

د.ماجد كارم

حديث عائشة في قصة خروجها إلى البقيع

يحتج من يري العذر بالجهل في أصل التوحيد بحديث عائشة في قصة خروجها إلى البقيع.

بقولها : ((مهما يكتم الناس يعلمه اللّه ...)). على أنها كانت جاهلة بعلم اللّه بما يكتمه الناس. ويحملون كلامها هذا على غرض ينأي عنه منطوقه، ويتبرأ منه مفهومه، وتأباه النفوس العالمة بما لأم المؤمنين عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ من التقدير والاحترام .

وقد جاء عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال :
((لا تؤذوني في عائشة فإنه لم ينزل الوحي وأنا في لحاف امرأة إلا في لحاف عائشة)).
رواه أحمد (٢٦٥٥٥) والبخاري (٢٤٤٢) والترمذي (٣٨٧٩) وغيرهم.

وقبل أن اجيب عن تلك الشبهة اقول

ان العين لحق تدمع وتكاد اوصالي ان تتمزق من هول ماري مايستدل به القوم ، فـ حتي أم المؤمنين لم تسلم من طعنهم لتقرير خبيث منهجهم وقد وافقوا به اصول الروافض لعنهم اللّه ، واني لاعجب كيف نشأت تلك الشبهة ومثلها في ذهن صاحبها ولا أجد لها سببا

إلا كما قال تعالى (شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً) الأنعام: ١١٢،

وكما قال تعالى (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) الأنعام: ١٢١.

فدلت هذه الآية على أنه لابد للحق الذي جاء به الأنبياء من أعداء من الإنس والجن لهم شبهات يزينونها ويزخرفونها ليصدوا عن سبيل الله، وأن هذه سنة قدرية لابد أن تقع كما يدل عليه قوله تعالى (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) فإن (وَلَوْ) حرف امتناع لامتناع، فدل على أنهم لابد أن يفعلوا ذلك لامتناع المشيئة بعدمه، ثم ذكر المولى جل وعلا الحكمة من هذه السنة القدرية، وهي أن الله جعل هذه الشبهات وهي (زُخْرُفَ الْقَوْلِ) فتنة للناس: أما المؤمن فلا يزداد بها إلا بصيرة في الحق، وأما المنافق فيصغى لها ويرضى بها ولاتزيده إلا ضلالا (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ).

فإنه لا بد من المحنة والفتنة والاختبار في هذه الدنيا. كما قال تعالى (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) العنكبوت: ٢ – ٣.

وهذه الشبهات نوع من الفتنة يختبر الله بها عباده، ولهذا فإنها لن تنتهي ولن تنقطع مادامت هناك طائفة على الحق قائمة بأمر الله فلابد أن يوجد من يخالفها ويخذلها، وستنشأ شبهات أخرى، وفي الكتاب والسنة الرد على كل زائغ إلى يوم القيامة كما قال تعالى (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) الفرقان: ٣٣، ولايزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته. اسأل الله ان يجعلنا منهم

الجواب على هذه الشبهة :

والجواب على هذه الشبهة من عدة وجوه :

الوجه الأول :

أن من تدبر في علم عائشة وفضلها وهي التي تربت في بيت الصديق - رضي اللّٰه عنه - ثم في بيت النبوة، وكان الوحي ينزل ورسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم في بيتها؛ علم أنها أعلم نساء هذه الأمة باللّٰه وأخوفهم له، وأنه يستحيل أن تجهل صفة متعلقة بربوبية اللّٰه تبارك وتعالى وهي صفة العلم، التي كان يثبتها كثير من أهل الجاهلية الجهلاء وهم على الشرك .

فمن ذلك قول زهير (موسوعة الشعر الإسلامي (ج٢ / ٣٥٥)) :

فلا تكتمن اللّٰه ما في نفوسكم ❖❖ ليخفي ومهما يكتم اللّٰه يعلم

وقوله (موسوعة الشعر الإسلامي (ج ٤ / ٦٥٩) :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة ❖❖ وإن خالها تخفي على الناس تعلم

فإذا كان أهل الجاهلية يعرفون ذلك، فكيف تجهله الصديقة بنت الصديق - رضي اللّٰه عنها - وهي القائلة في حادثة الإفك الشهيرة تعظيما للّٰه وإظهارا لأنها تعلم أن اللّٰه بكل شيء عليم :

(فإن قلت لكم أني بريئة - واللّٰه يعلم أني بريئة - لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر واللّٰه يعلم أني بريئة لتصدقونني) [البخاري في مواضع ومسلم (٧١٩٦)].

-قال ابن خزيمة الشافعي (٣١١ هـ) : وقالت عائشة رضي الله عنها : «سبحان من وسع سمعه الأصوات»، فسمع الله -جل وعلا- كلام المجادلة، وهو فوق سبع سموات مستو على عرشه وقد خفي بعض كلامها على من حضرها وقرب منها.)

ولا نملك أن نقول تجاه ما قال هؤلاء القوم إلا كما أمرنا ربنا سبحانه وتعالى : ـ
﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) ﴾ .

....

الوجه الثاني :

لو كانت عائشة ـ والعياذ بالله ـ شكت في علم الله كما يزعم هذا الزاعم فلم لم ينكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم ؟
فإن قيل: لأنها كانت جاهلة.
قيل: قد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم صدر منهم أمور دون الشك في علم الله، كما في حادثة ذات أنواط.
وكحادثة الذي قال له : (ما شاء الله وشئت).
.

الوجه الثالث :

أن الرواية التي فيها (قول نعم) من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قد أعلها بعض أهل العلم؛ كشعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند(ج ٦ / ٢٢١).

وقد قام غير واحد بعمل ابحاث جيده في المقارنة بين هذه الرواية وبين رواية مسلم التي جعلت قول (نعم) من كلام عائشة، وبين رجحان رواية مسلم بعدة مرجحات.

-الرواية التي ورد فيها (نعم) من تتمة كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وردت في صحيح مسلم ، وأهل العلم يرجحون ما في الصحيحين على ما ليس فيهما ، وكذلك يرجحون رواية الإمام مسلم لشدة إتقانه وضبطه ومحافظته على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بالمعنى فالإمام مسلم مشهور بتحرزه في الألفاظ والسياق ،

و أهل العلم يرجحون الرواية التي ليس فيها إشعار بقدح في صحابي ما على غيره من الروايات التي ممكن أن تشعر بذلك ، وباعتبار هذا النوع من الترجيح بأمر خارجي فإن الرواية التي ورد فيها (نعم) من تتمة كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي الرواية الراجحة .

ومن جملة اللطائف أن شراح الحديث المتقدمين ومن تبعهم من المتأخرين لم يشيروا في شرحهم لهذا الحديث ولو مجرد لفتة يسيرة إلى معنى كلام عائشة رضي الله عنها (مهما يكتم الناس يعلمه الله) ، فمن هؤلاء المازري (٤٥٣-٥٣٦هـ) ، والقاضي عياض الأندلسي (٤٧٦-٥٤٤هـ) ، و أبو عبد الله الأُبِّي المالكي (ت: ٧٢٧ هـ) ، والسنوسي الحسني (٨٣٢-٨٩٥هـ) ، و أبو العباس القرطبي (٥٧٨-٦٥٦هـ) ، ومحيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦هـ) ، ومن المعاصرين الشيخ أبو الحسن علي بن سليمان الدمنتي المغربي (١٢٣٤-١٣٠٦هـ) ، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري ، والشيخ محمد ذهني ، والدكتور مصطفى شاهين لاشين كلهم في شروحهم على صحيح الإمام مسلم ، ومن المتقدمين أيضاً جلال الدين السيوطي (٩١١-٨٤٩هـ) ، ونور الدين أبو الحسن السندي (ت. ١١٣٨هـ) في تعليقهما على سنن الإمام النسائي ، ومن المتأخرين أيضاً الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في تحقيقه لمصنف عبد الرزاق ، وحتي الألباني في تحقيقه لمختصر صحيح مسلم ، فلم ير أحد منهم أن كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي استنتج منه أصحاب الإفك ما استنتجوا من خيالات شيطانية يحتاج إلى شرح أو كشف عن مشكل . وإنما أشار بعضهم إلى معنى (نعم) الذي هو من تتمة كلامها لماذا قالته ، فلو كان ظاهر كلامها فيه أدنى إشكال لذكروا على الأقل وجه الإشكال لكي يزيلوه

وقد قال النووي في شرحه على مسلم : (هكذا هو في الأصول، وكأنها لما قالت : ((مهما يكتم الناس يعلمه اللّٰه)) صدقت نفسها فقالت : ((نعم))) [شرح مسلم للنووي ج ٧ / ٤٤].

.

الوجه الرابع :

أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، وذلك لأن الكفر من عظائم الأمور التي لا يسكت عنها، وحيثما وقع، جاء البيان الإلهي، أو البيان النبوي للتنبيه عليه.

كما في قوله تعالى : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾

وقوله عز وجل : ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾

فعدم النص أو التنبيه على الكفر في حديث عائشة هذا يدل على أنها لم تأت كفرا أصلا.

قال السمعاني :

(لا خلاف في امتناع تأخير البيان عن وقت الحاجة إلى الفعل ولا خلاف في جوازه إلى وقت الفعل) [إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢ / ٢٦].

الوجه الخامس :

أن هناك من أهل العلم من قال بأن قول عائشة (مهما يكتم الناس) ليس استفهاما؛ لأن مهما غالبا ما تأتي في القرآن ولغة العرب شرطية، فيكون قولها : (يكتم) هو فعل الشرط و (يعلم) هو جوابه .

. فـ (مهما) التي ذكر أن البعض جعلها استفهامية ليست أداة استفهام على الإطلاق ، ولم تكن كذلك ولن تكون ، فهي من أدوات الشرط وتفيد التوكيد ، فهي مكونة من جزأين (ما) و (ما) الأولى شرطية والثانية تزاد للتوكيد

ـ

هذا وكل من قام بشرح صحيح الإمام مسلم.
كالنووي في شرحه لمسلم (ج ٧ / ٤٤).
والسيوطي في شرحه لمسلم (ج ٣ / ٤٦).
و أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسني الشافعي (مكمل الإكمال (ج٣ / ١٠٣) .
وعلي بن سليمان المغربي (وشي الديباج في شرح مسلم بن الحجاج (ج ١ / ١٠٣) .
فكل هؤلاء قالوا بأن قول ((نعم)) من كلام عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأنها صدقت نفسها بنفسها، ولم تكن شاكة في علم الله .

وقول من قال ـ أن العلة من ((لهد)) النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة، إنما كانت بسبب أنها كانت جاهلة بعلم الله فلهدها النبي صلى الله عليه وسلم لوما لها على شكها في علم الله.
هذا القول هو كذلك أمر قد انفرد به من قال به ـ

وكل الشراح الذين سبق ذكرهم، لم يشر أحد منهم إلى أن لهد النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة كان لشكها في علم الله.

وإنما ذكروا أن ذلك كان لكونها ظنت أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في نوبتها إلى بعض نسائه الأخر، وفضلهن عليها، ففعل بها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تأديبا لها وزجرا عن تماديها في الغيرة .

يقول السيوطي : ـ

(فلهدني بالدال المهملة من اللهد وهو الدفع الشديد في الصدر، وهذا كان تأديبا لها من سوء الظن) [شرح سنن النسائي ج ٣ / ٢٧٨].

وقال مثله السندي في حاشيته على النسائي (ج ٤ / ٩٣).

وإن مما يرجح فهم جمهور العلماء أن قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ : ((فلهدني)) ليس تأديبا ولا لوما لها على الشك في علم الله، أن نص الحديث واضح في الدلالة على ذلك، لمن تأمله.

فإنها قالت : (فقال : ((ما لك يا عائشة حشا رابية)) قالت: قلت : لا شيء قال: ((لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير)) قالت قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته فقال : ((فأنت السواد الذي رأيت أمامي)) قلت : نعم فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ثم قال : ((أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله)) قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله نعم .....) . والله أعلم .

وفي نقاش مع احد هؤلاء السفهاء

قال له احد الاخوه

هل كانت أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها قبل أن تقول ما قالت مما فهمته أنت فهماً فاسداً تصلي الصلاة المفروضة أم لا ؟ فأجاب صاحب الإفك بنعم ، فعندها قال له : وفي صلاتها عندما كانت تسر بالقراءة هل كانت تعتقد أن اللّه يعلم هذه القراءة التي تسر بها في صدرها ؟! ولمن كانت تقرأ بهذه القراءة إن كانت تجهل أن اللّه يعلم ما في الصدور ؟!!

فبهت الذي كفر وانقطع عن الإجابة ، والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات . انتهي

د.ماجد كارم